

الازدواج في التعامل السياسي مع الحرب



> يقول المفكرون إن توزيع نظام القيم يتصل بالسلطة بأشكالها

المتعددة الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية، وسوء ممارسة

السلطة يطور دائماً قيماً سلبية، تجد من يسعى لانتهاكها.. انطلاقاً من رؤية

ما أو منظور معين، وهنا تتقاطع وجهات نظر الفاعلين، هذا التقاطع هو الذي

يشكل باستقطاباته النسيج الدلالي..



عبدالرحمن مراد

المشترك.. وثقافة الإقصاء..!

عدن - ياسر شمسان

> المتتبع لما تقوم به أحزاب اللقاء المشترك وفي المقدمة منها حزب الإصلاح المعروف بـ«أخوان المسلمين» كأحد طرفي النزاع شريكه الأساسي المؤتمر الشعبي العام وحلفاؤه والموقعة على المبادرة الخليجية إلى جانب المؤتمر الشعبي العام، يجد بأن ثمة محاولات حثيثة وسعي دؤوب من قبل تلك الأحزاب للسيطرة الكاملة على وحدات الجهاز الإداري للدولة، وقد تناست تلك الأحزاب بأنها شريكة في حكومة الوفاق الوطني الذي يرأسها الأخ محمد سالم باسندوة وليست الحاكم المطلق لهذه الحكومة «الوفاقية» ذلك أن الممارسات التي ينتهجها الوزراء المحسوبون على اللقاء المشترك وشركاؤه لاتعبر عن روح العمل التوافقي.. حيث نجد ذلك جلياً من خلال ما بات يعرف بثورة المؤسسات التي اشعلتها تلك الأحزاب وفي مقدمتها حزب الإصلاح في العديد من مرافق ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية، سعيًا منها للإطاحة بشر يكهم الأساسي المؤتمر الشعبي العام وحلفاؤه من الدوائر والأجهزة الحكومية المختلفة.. هذا الشريك الذي قدم لهم التنازلات تلو التنازلات ليس من منطلق الضعف، وإنما لما تقتضيه مصلحة الوطن وأمنه واستقراره وللخروج باليمن من أزمته الراهنة التي أضرت كثيراً بمصالح المواطنين وكيدت خزينة الدولة الخسائر الاقتصادية الكبيرة وكذلك لحقن دماء أبناء شعبنا من مدنيين كانوا أو عسكريين، فضلاً عن التزام المؤتمر الشعبي العام وحلفاؤه بما نصت عليه المبادرة الخليجية وأليتها التنفيذية المزممة أمام الدول الشقيقة والصديقة الراعية لهذه المبادرة.. ولعل النهج الاقصائي الذي يبدو واضحاً في ثقافة أحزاب اللقاء المشترك ولاسيما حزب الإصلاح في إدارة شؤون الحكومة وعدم قبوله بالأخر السياسي والذي يعد الشريك الفاعل في عملية التسوية السياسية للأزمة اليمنية ألا وهو المؤتمر الشعبي العام جعله يضي نحو الإجهاد على هذا الشريك الأساسي الذي قبل طواعية بتشكيل حكومة المناصفة الوفاقية الإئتلافية بعد أن كانت كافة حقايقها بيده وذلك انطلاقاً من إيمان حزبه المؤتمر الشعبي العام وقائده الزعيم علي عبدالله صالح بمبدأ القبول بالأخر وبنهج الحوار الذي جسده الزعيم العربي الفذ علي عبدالله صالح طوال فترة حكمه الماضية وبنقله السلطة سلمياً إلى أخيه المناضل المشير فخامة الأخ عبدربه منصور هادي رئيس الجمهورية عبر انتخابات رئاسية مبكرة شهد لها العالم أجمع بأنها نموذجاً للانتقال السلمي للسلس للسلطة.

إن محاولات هذه الأحزاب للانقلاب على المبادرة الخليجية وما نصت عليه بنودها وسعيها المحموم للسيطرة على وحدات الجهاز الإداري للدولة بشقيه المدني والعسكري وصولاً منها للإجهاد على المؤتمر الشعبي العام كحزب سياسي رائد في الساحة اليمنية واستبدال عناصر موالية لهذه الأحزاب وتآمر منها، يعد خرقاً فاضحاً للمبادرة الخليجية وأليتها التنفيذية المزممة وخروجاً عن روح التوافق الوطني ويتناقض جوهرياً مع قواعد العملية الديمقراطية والنظام الديمقراطي الذي أرتضاه شعبنا في الثاني والعشرين من مايو عام ١٩٩٠م والذي أقرت بتحقيق الوحدة اليمنية كطريق لا رجعة عنه.

إن استمرار سياسة الإقصاء التي تنتهجها أحزاب اللقاء المشترك وفي مقدمتها حزب الإصلاح لايفضي بأي حال من الأحوال إلى تجسيد روح العمل الوطني التوافقي المشترك، بل انه يكرس المزيد من الإنقسام الداخلي بين مختلف القوى السياسية، وسيؤدي حتماً إلى تأزيم الأوضاع أكثر وأكثر بين فرقاء العمل السياسي وسيعمل على عرقلة التنفيذ الخلاق لبنود المبادرة الخليجية والتي تعد المخرج الوحيد والأمن للأزمة السياسية في اليمن.

قضية القبائل في كشر أو في مستبأ ليست قضية سياسية بقدر ما هي إشكالية اجتماعية لها ارتباط متجدد بالثقافة الثأرية وبالمعادل الموضوعي في الشعور بالمضاهاة، فدخول القبيلة في الحرب في عاهم وأبو دوار لم يكن إلا خوفاً من فقدان القوة، والقوة في المدخل الثقافي لهم هي العتاد والسلاح، والحرب عنصر مهم في توفير العتاد والسلاح بطرق مشروعة وغير مشروعة، ونحن نلاحظ في مقالنا حديث العائدين من الحرب عن مفاخرتهم في حصولهم على كم قطعة سلاح وكم طلقة نارية..

وفقدان القوة بالضرورة يفضي إلى فقدان المعنى والذي يعني عدم إحساس الفرد بفهم الأحداث التي يرتبط بها وغير قادر على الاختيار بين البدائل.. فإذا كان فقدان القوة هو الإحساس بعدم القدرة على ضبط الحوادث ونتائجها فإن فقدان المعنى هو الإحساس بفقدان القدرة على التنبؤ بالنتائج السلوكية.. الأمر الذي تكون من نتائجه تدمير المعايير الاجتماعية في تنظيم السلوك الفردي.. ولعلنا سمعنا عن سلوكيات مشوهة للقيم الاجتماعية لم تكن نتوقها كقتل أسرى وتشويه جثث وإن تكن غير مؤكدة إلا أنها مؤشر على نتيجة سلوكية غير منضبطة، فالحرب- أي حرب- آتس نتاجها التفكك الفردي والتدهور الثقافي واللامعيارية. إذ.. لقد اصبحت السلطة الثقافية مطالبة بتفعيل دورها من خلال التأكيد على الفلسفة الأخلاقية التي تمثل الطابع القومي والوطني، ومنع إثارة الضمير الجمعي والمحافظة على التضامن الاجتماعي، وإشاعة ثقافة التسامح إزاء الذنوب التي تهدد المشاعر الجمعية العميقة وتؤدي إلى تفكك المجتمع وتعمل على الإخلال بتوازنه ويتوجب عليها مواجهة السياسي بالاستعانة برد الفعل المكثف الذي يرتبط بالقواعد الأخلاقية، وبتفسير الظواهر بالاعتماد على مفاهيم التوافق، والتوازن، والاستقرار..

لقد أصبح المثقف مطالباً أكثر من أي وقت مضى بالوقوف ضد النهائية السياسية وصلفه حتى لا تفسد قيمنا.. ولعل هذه الحلقة النقاشية هي الفاتحة التي تعبر عن ردة الفعل المكثف المرتبط بالقواعد الأخلاقية في مواجهة ما أفسده الفعل السياسي والحالة الثورية الأكثر تدميراً والأقل رؤية وبناء.. وقد نيقظ بفعالنا هذا ضامراً أخرى، وقد تتوالى نشاطاتنا استشعاراً لمستوليتنا الوطنية والإنسانية في الحفاظ على التضامن الاجتماعي وتوسيع مفاهيم التوافق، والتوازن، والتعاون، وقيم التعايش والسلام.

* هذه الورقة قرئت في الحلقة النقاشية التي أقامها المركز الثقافي بحجة، بعنوان «حرب عاهم وأبو الدوار.. البواعث والغايات ومتطلبات الوثام والتعايش» (رؤية نقدية ثقافية)

أخلاقياً، لكن أن يكون ذلك الكلام من طرف يتكلم باسم الله تصبح القضية هنا مختلفة، إذ أن القيمة الجوهرية في المرتكزات الأساسية وهي مرتكز الروح وتنظيمها للعلائق وتهذيبها للمرتكزات، والمرتكز الثاني الآخر هو

لماذا تغيب حوادث حي النهضة ومحرقة تعز عن شعارات المشترك المتهم بجمعة الكرامة؟

البعد الأخلاقي في التعامل وتنظيم العلائق مع الآخر. القضية هنا شائكة لأن الازدواج بين الفعل السياسي والمبادئ العامة للدين في بعديها الروحي والأخلاقي يصبح تفكيكاً للمنظومة القيمية وهما للدين في كليته ورمزياته، ونماذج مثل ذلك قائمة في التنازب بالألقاب، الاحتقار، الحسد، وفي القول إن التفاعل الحركي مع الشعار الحزبي عبادة، وفي إسقاط بعض المفاهيم الجهادية العقائدية على الفعل السياسي والحالة السياسية وفي إباحة الدم وتجاوز محدوداته الشرعية.. قضايا كثيرة، تحضر في الإعلام كما تحضر عند المتلقي للحادث والمتفاعل معه، الأمر الذي أفضى إلى الوصول إلى حالة اللامعيارية، ومثل ذلك يعمل على تشويه صورة المجتمع في المستقبل المنظور.

ومفهوم اللامعيارية عند علماء الاجتماع- لمن لا يعرف ذلك- هو انعدام القانون وفقدان القدرة على الانضباط وانعدام الشكل والنماذج وانعدام الأخلاق، وهذا المفهوم أصبح حالة اجتماعية وسياسية نشعر بها في واقعنا، ولا يتجاوز الاعتراف بها إلا مكابر، فاللجنة العسكرية لم تنجز مهامها حتى الآن، وشعور الجماعات بغياب الدولة جعلها أكثر حرصاً على الحفاظ على نفسها بالطرق والوسائل المتاحة.. ومفهوم اللامعيارية أفضى بالضرورة إلى شعور القبائل في كشر بالاغتراب وفق مفهومه الاجتماعي في النظرية الماركسية كفقدان للقوة.

الأمر الذي يجعل من قضية الالتباس قضية احتيال في مستوى يمكن التفكير فيه، فحقق الاحتمالات الدلالية المتشعب عنها يفصح عن قصور وعجز في التفسير والتأويل وتحديد المالات، وهنا ينشأ كما- يقول المفكرون- نوع من التضاد الذي يتعمق كلما استمر سوء الفهم، فالذين يمارسون ازدواجاً ظاهراً في شلالات الإيحاءات هم أكثر حرصاً على إرسال رسائل مشبعة بالرموز والقرائن يهدفون من خلالها إلى تحقيق غايات ومقاصد في نفوسهم، والوقوف أمام تلك الإيحاءات والقيام بتنفيذها والتأمل فيها يجعلها قابلة للفهم في كونها اتجاهها لا ينتج عنها إقيم سلبية وقاتلة.. ولعل الحرب التي تتفاعل مع قراءتها ورموزها والتي تحدث في بقاع متناثرة من اليمن، تحدث في عاهم، في كتاف، في الجوف، في ساحة التغيير في صنعاء، في دوفس، وفي أبين، في الجوف، في دماج إلى آخر قرائمتها التي يطول سردها، تجعلنا نقف حائرين أمام شلالات إيحاءاتها، وازدواج الموقف السياسي منها.

ففي حين ندرك حضور جمعة الكرامة، تغيب في المقابل أحداث أخرى كحادث حي النهضة، كحادث إطلاق النار على المعتصمين في تعز، كحادث بنك الدم، كحادث محرقة تعز.. ونلاحظ أنه في حين يطالب البعض بفتح ملفات الانتهاكات، يقف الآخر موقفاً مزدوجاً من القضية، وهي قضية جوهرياً دأبت الأطراف السياسية على استثمارها وبعث الرسائل والرموز والقرائن من خلالها، وبتنضيد تلك المسارات وقراءة الخبر الذي نشرته صحيفة «الناس» في عددها (٥٩٠) الصادر بتاريخ ٢٦ / ٣ / ٢٠١٢م، وكذا «الأولى» في عددها رقم (٣٧٧) الصادر بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠١٢م قد ندرك أن الغايات والمقاصد لم تكن إلا سياسة، ولم يكن الدم إلا وسيلة لبلوغها- مضمون الخبر موزع ضمن وثائق الحلقة..

وحيث نقرأ في إطارنا الجغرافي ما يحدث في عاهم وجبل أبو دوار، لا نقرأه منفصلاً عن سياقه الوطني، إذ أن ما يحدث حدث مثله في دماج، وحدث مثله في الجوف، وحدث مثله في ساحة التغيير بصنعاء، وكان ازدواج الموقف واضحاً وبيئاً منه دليله مضمون الخبر الأنف ذكره، وحضور البعض في التناولات الإعلامية وغياب الآخر.. هذا الازدواج ليس تضاداً بل هو حرص شديد لتعمد الفعل السياسي ليعبث من خلاله رسائل مشبعة بالرموز والقرائن، وهي رسائل متعددة منها ما هو إلى الداخل ومنها ما هو إلى الاقليم، ومنها ما هو إلى المجتمع الدولي.

إذاً.. موضوع الازدواج كما أسلفنا ليس تضاداً بل هو فعل منظم ومنهج وقضيته الأساسية الهدف السياسي، الذي أسقط الفعل الثوري، من أجله الأيديولوجيا والمنظومة القيمية، سواء أكان ذلك من أقصى اليمن أو أقصى اليسار، ولعلنا نقرأ في وسائل الإعلام المقروءة والالكترونية ونشاهد في المرئية ونسمع من تصريحات الناطقين الرسميين شيئاً تشعّر له الأبدان ويندي له الجبين، فأنا قد أقبل من إنسان عادي كلاماً بديئاً ولا

حكمة نابليون.. وكلمة بن سعد



أحمد مهدي سالم

الرؤية الفلسفية الناضجة أو الإنسانية في التعاطي مع أنياب الأزمات وأشباح الحروب، فكانت تلك التصريحات الملققة والتحليلات المبرجة التي تسود في المشهد السياسي المحلي والعربي، وماتزال البلبلة والأكاذيب والأخبار المسممة تصول وتجول وتغزو العقول لدى السواد الأعظم سواء برضا أو بدونه، لأن كثرة رواجها وفي عدة وسائط، وبحرقة عالية متقنة، يساعد على خلق حالة اقتناع أو شبه اقتناع لأن العرب- كما قال أحد المثقفين اليهود- لا يقرأون، وإذا قرأوا لا يفهمون.

غفلوا، أو جعلوهم يتغافلون، كيفية البحث

والبركة في مطابخ الفبركة والفلتره التي تعرف كيف تستهدف شعباً معظمه أمي- كشعبنا- أو محدود الثقافة، شعب يفكر بعاطفته قبل عقله، وينقاد ببطنه لا بدقنه، وربما صح قول فيصل القاسم: «شعب سكران بالقوات أربعة وعشرين ساعة» أقول: ربما.. وليس قطعياً حتى لا يزياد أحد..

الكلمة الصادقة تهدف إلى رفع مستوى القارئ أو السامع، وترقيته بشكل أفضل، ولها رسالة اجتماعية فعالة وسياسية أيضاً من خلال ممارسة حقها في الفرض والهيمنة لتوجيه مسار الأحداث بما يخدم التوجه العام، والمصالح النافعة للمجتمع.

وأحدث منجزات الاتصالات صارت وبالأعلى الشعوب العربية لأنه أسبب استخدامها من قبل المبدعين في الفتن ونشر التفكير العفن.. وإذا كان أحمد شوقي قد قال عن ازدهار الصحف في زمانه:

لكل زمان مضي آية

وآية هذا الزمان.. الصحف

فنحن نقول: وآية هذا الزمان- الفيس بوك.. الفيس بوك.. «يلعن أبوك» على قول أحد المواطنين الأميين بعد أن فطن إلى سوء وخطورة هذه الخدمة من تسميم وتلغيم وتويعيم وتعميم افتراءات، ونشر مظاهر كراهية..

غابت الأمانة، وضاعت المصادقية، وغادرتنا

> الكلمة سيف متوجه وضء.. قد تفعل- في ظروف ما- ما لا تفعله أو تجرؤ على القيام به كثناب جيش مزودة بأقوى الأسلحة، وأتذكر أن نابليون قال ذات مرة: «أربع جرائد أكثر من قوة ألف مدفع»..

في أثناء الأزمات والثورات التي عصفت بعدد من بلدان الضاد.. دخل سوق الكلمة كثرة كاثرة من الدلاء والمرابين فأسأوا إلى مكانتها، وانتهكوا قدسيتها وخلخلوا بنية الوعي العام الذي تخاطبه عبر تحريم سيرها ومسارها، وزرعوا فيه الحقد والتأزيم والتوتير.

هناك مثقفون وكُتاب جيدون.. حصل لهم غسيل مخ أو ضغط ورهبة أمام إغراء الدولار والجنيه والريال.. فتغيرت أرؤهم، وتحولت قناعاتهم مائة وثمانين درجة، وصاروا أدوات طليعة في أيدي من يدفع أكثر أو يمنح مزايا أفضل، وكل كلمة- وليست عبارة- لها ثمن، وتختلف الأسعار حسب المكانة الثقافية أو العملية للكاتب أو الباحث المستاجر «يفتح الجيب».. يعني صار سوقهم «حظا- بلغة المقاومة» فعملوا على تزييف وعي الناس، وإضعاف قناعاتهم بقضية وطنية ما، واغراقهم في محيط من الأكاذيب التي من شدة إقناعها صار المستهدفون «يفتح الدال» يتحدثون بها، ويتجادلون حول أفكارها، معتقدين بل وموقنين بصدقيتها وصوابيتها،

ما تجرفها تيارات الأمواج.

< قطرة فوق قطرة.. تسيل، وحبية فوق حبة، وتكيل، وكلمة فوق كلمة.. صميل.

< سيف الإقناع وضعه الله تعالى داخل العقيدة الإسلامية عبر الكلمة الصادقة.. الصافية.. المحاوره، ليكون له استقبال حسن في النفوس.. لا سيف الإجمار أو الإكراه كما روح البعض.

< أزمع أن معظم حروبنا إعلامية.. أوقد جذوتها الإعلام، ويطفئها مطر الإعلام.. وعلى قول الفنان اليمني: «كلمة توديك.. وكلمة تجيبيك».. لكن بعد تلال من المأسي.. < في البدء كانت الكلمة، وفي الاختتام.. تكون، وفي الوسط يشتعل الكلام الذي كان باعته كما أخبرنا محمد سعد عبدالله- كلمة سببها الشك والغيرة.. وكم جرت الغيرة والحسد والأحقاد علينا من كوارث! < بداية الحب نظرة.. وبداية الكذب كلمة.. وبداية الحشوش همسة.

آخر الكلام

ملكنَا فَكأن العفو مَرثَا سَجِيَّةُ

فلهَا مَلَكْتُمُ سَالٍ بِالدمِ أبطَحُ

فحسبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا

فَكُل إنَاءِ بالذي فيه ينضحُ

عن لقمة العيش، وإطعام الأفواه الجائعة وإعادة الكهراء مثلًا التي كانت موجودة في عهد الرئيس علي عبدالله صالح- إذا أخذنا النموذج اليمني- وتضميد الجراح واسترجاع لمة الوثام الاجتماعي التي كاد يمزقها زلزال الأزمة التثويرية..

شيء سبى.. ازدواجية الخطاب السياسي واستمرار إثارة النعرات، واستزراع الأحقاد خدمة لمصالح فئوية ضيقة، وأجندة خارجية خبيثة.

متى نتخلّى عن غلو الخطاب التحريضي المهيج؟! وهل بالإمكان المراجعة وترشيد استعمال الكلمة لتؤدي دورها الإيجابي الفاعل في العملية التنموية، ونشر قيم المحبة والتعاون والتآخي؟! < ما أروع الكلمة المبدعة الخلاقة! والحرف المتوهج المناضل، في سبيل صنع معالم الغد الجميل القادم!! < صدقت يا محمود درويش- رحمك الله- في قولك المؤمن بعظمة الحرف، والمناصر لرسالة الكلمة المقاتلة:

أمنتُ بالحرّف إمّا ميّتاً عدماً

أو ناصباً لعدوي حبل مشنقتي

لقطات

< مفردات الشعارات الفارغة من أي محتوى قيمى.. أشبه بكتابة على رمال الشاطئ سرعان